مـــتون: دورية أكاديمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة سعيدة – الدكتور مولاي الطاهر
المجلد: 19، العدد: 03 ، تاريخ النشر، 30 سبتمبر 2026
ISSN : 1112-8518 **EISSN** : 2600-6200

إمارة ابْدُوكّلْ الصنهاجية ومظاهر تعربها من خلال مصادر ق 15م

(دراسة في التحولات الهُوياتية من خلال مخطوطات أنسابية لم تنشر)

د/ أحمد أحمدو سيدات ♦

جامعة انواكشوط العصرية - موريتانيا

A.A.sidatt@gmail.com
https://orcid.org/0009-0004-7963-4221

تاريخ الاستقبال: 24/ 07/ 2026 تاريخ القبول: 22/ 09/ 2026 تاريخ النشر: 30/ 09/ 2026

الملخص:

يتناول هذا البحث بالتحليل أحد أقدم المخطوطات المدونة في موريتانيا، خلال القرن 15م، محاولا من خلالها رصد ظاهرة "تعرب الأسماء" وتطورها تبعا لمراحل التدوين، معتبرا إياها مؤشرا دالّا على تحولات البنى الاجتماعية في المنطقة. ويعتمد البحث منهجا إحصائيا كميا، وتاريخيا أنثروبولوجيا لتأويل دلالات التغير في التسمية والانتماء القبلي. وقد توصل البحث إلى أن هذه المدونة المبكرة تمثل أفقا تأسيسيا للتدوين في موريتانيا، وأن تعرّب الأسماء لم يكن ظاهرة لغوية فحسب، بل ربما كان أداة لإعادة تشكيل التحالفات القبلية والشرعية الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: المخطوط الموريتاني؛ شجرات الأنساب؛ تعرّب الأسماء؛ تطور البنى الاجتماعية.

Abstract: This research analyzes one of the oldest manuscripts codified in Mauritania during the fifteenth century, tracing the phenomenon of "Arabization of names" and its development across codification stages, considering it an indicator of social structural transformations. It adopts a dual methodology: quantitative statistical and

♦ المؤلف المرسل

historical-anthropological, to interpret changes in naming and tribal affiliation. The research concludes that this early manuscript represents a foundational horizon for genealogical codification, and that Arabization of names was not merely a linguistic phenomenon, but a tool for reshaping tribal alliances and social legitimacy.

Keywords: Mauritanian manuscript; genealogical trees; Arabization of names; social structures.

مقدمة:

يمثل موضوع شجرات الأنساب أحد المداخل المهمة لفهم التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عرفها المجال الموريتاني خلال العصر الوسيط وبدايات العهد الحديث، نظرا لما تختزنه المدونات النسبية من معطيات تتجاوز إثبات الانتساب العائلي أو القبلي، لتكشف عن بنية المجتمع، ومراتب القوى داخله، ومسارات تغير الأسماء، والانتماءات والوظائف واللغات، ومن هذا المنظور، تغدو شجرات الأنساب المبكرة وثائق تاريخية دالّة، يمكن من خلالها استقراء ملامح البنية الاجتماعية ومسار تعربها، خلال مسار تاريخي طويل ومعقد تداخلت فيه الهجرات، والتحالفات، والمصاهرات.. وانتهى إلى إعادة تشكل البنيات الاجتماعية والرمزية في المجال الصحراوي الموريتاني.

وتكتسب الدراسة أهميتها من تناولها لمخطوط غير منشور يعد من أقدم نصوص المرحلة المعروفة حتى الآن، دونه الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي (ق 15) وتنطلق من فرضية مؤداها أن هذه المدونة لا تمثل قوائم نسبية هي الأولى من نوعها في هذا الحيز فحسب، وإنما هي أيضا وثائق تاريخية تخلد، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بعض أوجه التحولات الاجتماعية والثقافية، وتسعى لاستقراء شجرات الأنساب كوثائق تاريخية يمكن استنطاقها، للكشف عن جانب من مسار تعرب الأسماء، وتحول أنماط الانتساب، وتبدل موازين الحضور بين العنصرين الصنهاجي والعربي.

وانسجاما مع هذه الرؤية، تضمنت الدراسة أربعة محاور تناولت التعريف بالمخطوط وبيان أهميته التاريخية، وتحليل بنية إمارة ابدوكل، وتتبع مسار

تفككها وما رافق ذلك من تأسيس لشرعية سياسية جديدة على يد الشيخ سيدي محمد الكنتي الكبير، قبل أن تتبع ملامح التعرب عبر مقاربة إحصائية-لسانية لشجرات الأنساب، تقوم على رصد تمايز نسب الأسماء العربية والصنهاجية، واستخلاص دلالات ذلك في فهم مسار تعرّب الأسماء ومظاهر تغير البنى الاجتماعية خلال تلك المرحلة.

1- أولا المخطوط:

هو مؤلف من نصوص تاريخية وأنسابية دُوّنت بين القرن 15و 17م، غير أن محط اهتمامنا منه ينصب على الشق الأقدم، المنقول من خط الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي الكنتي دفين ولاتة (المتوفى حوالي 920هـ/1514م).

والشق المذكور من المؤلف يتعلق بأسماء وأنساب أمهات وجدّات البكاي من أبيه، إلى جانب أنساب قبائل إمارة ابدوكل الصنهاجية وأصولها وبعض مشجرات أنسابها، وهو بذلك يكشف بعض أوجه القبائل والمجموعات التي شكلت النسيج المجتمعي للمجال الشنقيطي التكروري خلال تلك المرحلة.

1.1 - النسخ المتوفرة: نسختان فريدتان؛ الأولى مصدرها مكتبة أهل الشيخ ولد انّ (الزويرة بتگانت وسط موريتانيا الحالية) والثانية مصدرها مركز أحمد بابا التنبكتي وهي بخط ناسخها أحمد بن أبي الأعراف التكني الوادنوني.

2.1- أهميتها: تكمن الأهمية التاريخية لهذا المخطوط في كونه من المصادر النادرة التي قد تساعد في سد بعض فجوات "مرحلة الفراغ الوثائقي" وترسم بعض ملامح البنيات الصنهاجية قبل تفككها، وهو ما يجعله وثيقة استثنائية قد تساعد في فهم التحولات الاجتماعية والديموغرافية اللاحقة.

وقد وردت به أول إشارة مفصلة مكتوبة عن القبائل التي أسست إمارة ابْدُوكَلْ أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري تقريبا، واتسع مجالها من الساقية الحمراء شمالا إلى تخوم آدرار الحالي، فقدم من بذلك خريطة ديمغرافية واضحة المعالم لاتحادية ما تزال راسخة الذكر في المرويات وتبرز بقوة حتى في بعض الكتابات المتأخرة التي يتحدث بعضها عن قوة شكيمة هذه الإمارة ومجال

سيطرتها إذ ذاك، ويعد هذا، في حدود المعروف لدينا حتى الآن، أقدم نص مدون سابق للقرن الثامن عشر يكشف جانبا من البنية الاجتماعية الوسيطة في موريتانيا.

2- ثانيا: إمارة ابدوكل، التشكيلات القبلية والروابط القرابية

1.1- معضلة التأريخ في غياب المصادر المباشرة:

من الصعب رسم ملامح البنيات الاجتماعية في موريتانيا خلال هذه المرحلة لندرة المصادر وصمت معظمها، ولا يمكن الخوض في تلك المغامرة إلا من خلال رصد وتتبع الإشارات القليلة المتوفرة عن تاريخ الشخصيات والمجموعات، ثم القبائل وشجرات أنسابها، وتتبع الصلات والقرابات والروابط بين المجموعات المحلية حيث شكل النسب والصهر الأسس التي تقوم عليها العلاقات القبلية والتفاعلات بين الأفراد والكيانات.

وقد تكون إمارة ابْدُوكّلْ الصنهاجية نموذجا استثنائيا من حيث بقائها في الذاكرة الجمعية وحضورها في التاريخ السياسي والاجتماعي كأحد أبرز الكيانات السياسية والاجتماعية في تاريخ المنطقة، وقد قامت على ائتلاف من قبائل صنهاجة التاريخية، ذات الدور الكبير، منذ ظهور الحركة المرابطية، ولعل ذلك ما جعل بعض المؤلفين[1] يُشير إلى هذا الكيان باعتباره وريث دولة المرابطين، بل يسميه أحيانا بدولة المرابطين، وذلك لما كان له من تأثير سياسي واقتصادي واجتماعي بالغ في هذه الفضاء.

توضح النصوص التاريخية تفاصيل دقيقة حول تنظيم هذه الإمارة، ومن بين الفروع البارزة التي تشكلت منها "أولاد عثمان"، "أولاد الحسن"، و"أولاد أمغار"، إلى جانب ذلك، ظهرت تفريعات أخرى مثل "آل آغمتال"، "أولاد بشركين"،

---

[1]- يذكر الشيخ سيدي محمد الخليفة، أنهم "يومئذ المتغلبون على الصحراء ومن فيها إلى أطراف السودان"، **الرسالة الغلاوية**، تحقيق: د. حماه الله بن السالم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2013. ص200.

"أولاد دين الله"، و"أولاد الدربزاني"، على شكل وحدات اجتماعية كبرى، وأفرع صغرى متداخلة، يتضح دور النسب في بناء علاقاتها سواء في شقه الأبوي أو جانبه الأموسي الذي ربما كان الأهم في مجتمعات تلك المرحلة داخل الإمارة و خارجها، وشكل إطارا رئيسيا لتحالفات سياسية واجتماعية عززت استقرار هذه الاتحادية ومكانتها.

يتعذر تحديد تاريخ تأسيس إمارة ابدوكل لغياب المصادر المباشرة، غير أن المعطيات المتاحة ترجح أنها بلغت ذروة قوتها خلال القرن 14م، ونستند في ذلك إلى ما يورده الشيخ سيدي أحمد البكاي (ت 1514م) من أن والده الذي ناهز المائة عام، توفي عنه وهو "صغير جدا"[1] وإذا افترضنا أن وفاته وقعت قبل أن يبلغ الابن العاشرة من عمره، فإنها تكون مع مطالع القرن 15م، ومن المعلوم أنه عاصر ذروة قوة إمارة ابدوكل واتساع نفوذها، ثم شهد، بوصفه أحد الفاعلين، الحرب التي أدت إلى تفككها وزوال هيمنتها مع نهايات القرن 14 أو بدايات القرن 15م.

2.1. البنية الأم للاتحادية: البطون الأربعة الكبرى وتفريعاتها الداخلية:

عمدت النصوص المذكورة إلى تقسيم القبائل التي شكلت إمارة ابدوكل إلى أربعة بطون كبرى هي: إيدغموس، أولاد عثمان بن أجنف، أولاد الحسن، وأولاد امغارن.

1. **إيدغموس** وتضم قبائل مثل **لادم، أولاد بشركين، أولاد دين الله، وأولاد الدربز اني**.
2. **أولاد عثمان بن أجنف** يتشكلون من **أولاد اللوم** الذين استقروا في المناطق الساحلية (البحر)، بالإضافة إلى **أحمد بن هيت** وإخوته.
3. **أولاد الحسن:** ومنهم **باب علي بن محمد، وعبد الله بن الهادي**، الذين كانوا من أبرز زعماء القبائل في تلك الفترة.

---

[1]- الشيخ سيدي أحمد البكاي، **أسماء و أنساب الأمهات والجدات**، مخطوط بحوزتنا صورة منه، النسخة: ب، اللوحة 16.

4. **أولاد امغارن** أحد البطون المهمة أيضًا، ومن أبرز مكوناتهم **أولاد محم الكبير**، ومن أبرز شخصياتهم **أحمد المعلوم بن عمر**، و**سيدي أحمد بن عثمان**. و**أمغار** تعني "الزعيم" في اللغة الصنهاجية، مما يعكس مكانتهم القيادية بين القبائل.

5. **إيدقژينبو** هي قبيلة زوايا، يعتقد أنهم من أصول شريفة، حيث يقال إنهم ينحدرون من **زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم**.

6. **انگادس** قبيلة صنهاجية كانت ذات شأن، دخلت في مواجهة مع **بني حسان** خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي). انتهت بهزيمتهم ومن ثم انقراضهم

7. **كنته** علَم على قبيلة صنهاجية لم يعد يوجد منها إلا بضع أسر، ويذكر منها النص أهوى بنت محمد آلمْ بن زمْ بن كنته رئيس ابدوكل، **ومنهم أولاد الفاغ(ي) "مأژ" الأمازيل فهم من أقدم كنته**[1]

8. **زم** هو اسم مرتبط بـ**طوارق إيمقشرن**، ويُسمون إزماتن، يقطنون الآن بجمهورية مالي وهو ما يعكس أنهم نازحون من الفضاء الموريتاني.

9. **تملك** ربما يكون تحريفا لـ«اتْمدَّكْ"، وهم بطن من بطون **لمتونة**، إحدى القبائل الصنهاجية الكبرى.

10. **ترجت** اسم يظهر في أنساب زعماء **المرابطين**، وقد يكون جدًا لـ**أبي بكر بن عمر**، أحد قادة المرابطين.

11. **تكرنت** قبيلة تنتمي إلى الأنصار كما في شجيرات أنسابهم التي يأتي ذكرها في الملحقات، ويوجدون اليوم بجمهورية مالي.

12. **إيديشلي** قبيلة محاربة تعيش في الصحراء لها وجود معتبر في آدرار الموريتاني، وقد اشتهرت قديما بقوتها العسكرية.

---

[1]- النسخة: أ، وهي نسخة أهل الشيخ ولد ان غير المرقمة،

13. **باڤور** هي قبيلة قديمة، يعتقد أنها كانت من سكان **آدرار** قبل وصول **المرابطين**.
14. **تندغه** هي قبيلة زواية ما تزال في أوساطها جيوب تتحدث اللهجة الصنهاجية.
15. **إيدوعيش** قبيلة محاربة مهمة في الصحراء، تمغفرت في سياق التحولات الاجتماعية الكبرى التي عرفتها البلاد مع تغلغل القبائل المعقلية، وأسست إمارة كان لها نفوذ واسع في محيطها (تكانت وأركيبه) واستمرت إلى عهد قريب.
16. **أولاد ايدغهم** قد يكونون جزءًا من قبيلة **إيديشلي**، (كما سيأتي بيانه في التحقيق) ويعرفون الآن باسم "إيدگمحم."
17. **أولاد شك** يعني "إشگانن" في الحسانية، وهم فخذ من **تندغه**.
18. **اجمل** هو اسم صنهاجي يشبه اسم قبيلة **إيدگجمله**،

من الواضح أن عامل القرابة أدى دورا مركزيا في بناء هذا النموذج، بل يتضح أن النسب والمصاهرة شكلا ركيزتين أساسيتين في بناء إمارة ابدوكل، إذ أسهما في توثيق الروابط القبلية، وترسيخ السلطة، وتعزيز الشرعية، كما كان لهما أثر في تشكل الهوية الثقافية والتحولات السياسية والاجتماعية.

ويجسد الشيخ سيدي محمد الكنتي هذا النموذج بوضوح، إذ أتاح له انتماؤه إلى شبكة واسعة من الروابط النسبية والمصاهرات أن يوظف التداخل بين مكونات البنية الاجتماعية في تعزيز مكانته، وأن يحول تنوع انتماءاته القبلية إلى رصيد اجتماعي وسياسي أسهم في ترسيخ نفوذه واتساع دائرة تأثيره.

3.3 المصاهرة والقرابة: آليات لصناعة التحالفات وتوسيع شبكات النفوذ:

يرتبط الشيخ سيد محمد الكنتي (عاش خلال القرن 14م) بعدة قبائل بارزة من اتحادية ابدوكل ومن غيرها مثل: "آل آ لم، و "إيديشلّي، وانگادس، وله صلات قرابة مع قبائل شرقية مثل انصر، آل يأشم، وآل يهس .ولعل هذا التشابك القبلي أضفى عليه مكانة خاصة ضمن مجتمعه، وخلق قنوات تواصل توسعت من

خلالها شبكة علاقاته الاجتماعية والسياسية، وكذا ابنه سيد أحمد البكاي إذ تُظهر قرابات الرجلين ارتباطهما بصلات قرابية مع العديد من القبائل مثل تجكانت، التمكنيت، وآل يرزج.

ويتحدث سيدي محمد الخليفة عن مسار تلك العلاقة المعقدة بإمارة ابدوكل، وعن جموعهم المتكاثرة، وحللهم المتناثرة، ومكانتهم السياسية والحربية، وسيطرتهم على الصحراء حتى أطراف السودان؛ وما حظي به الزعيم الروحي وسبط أميرهم الشيخ سيدي مُحمد الكنتي من احترام في عموم المجال، سواء لدى السكان الأصليين، أو طلائع الوافدين الجدد من الحسانيين.

كما يتحدث عن استقلاليته بمن معه من تلامذته وجيرانه، وعن مكانته العلمية والروحية وخصاله المعرفية، وأنه "كان مجاب الدعوة، لا يجاريه في مجاريه خلف.. دام يُحْيي ما قد أُميت من الفضل، وينفي فقرا ويطرد محْلا... محترما مكرّما معظّما عند سائر دولة المرابطين (ابدوكل) من لمتونة وبني حسان، مقدّما عليهم مُحَكّمًا فيهم، إلى أن جرى القضاء بأمر غاظه على أخواله ابْدُوكَلْ. وهم يومئذ المتغلبون على الصحراء ومن فيها إلى أطراف السودان، فارتحل عنهم، مغاضبا لهم"[1].

هذا المقتطف من الرسالة الغلاوية صريح في أن سيدي مُحمد الكنتي الكبير كان المحكّم في الأطراف، قبل أن ينحاز إلى أحدها، ويتحول إلى فاعل رئيسي في الحرب، ويفتي بوجوب الخروج على الإمارة، ويقيم تحالفات من أجل مقاتلتها، كما أفتى بذلك - حسب بعض المصادر الأخرى - عالم من أصهاره يسمى يعقوب الجكني قاضي تنيكي[2].

---

[1]-سيدي محمد الخليفة الكنتي، **الرسالة الغلاوية**، م، س، ذ، ص200.

[2]-حماه الله السالم، **تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا)، من العصور القديمة إلى حرب شربه الكبرى**، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2010، ص 172.

وإذا كانت أسباب ذلك الانحياز لم ترد في النص فإن صفة المحكَّم تشير إلى وجود احتكاكات دائمة بين الأطراف، وتنامي الصراعات المحلية، كما أن في الفتيا بجواز أو وجوب مقاتلة الإمارة إيحاء بسلوك مخالف للشرع أو ممارسة تبرر حمل السلاح عليها.

3- ثالثا: تفكك الإمارة وإعادة تشكل النظام الاجتماعي الجديد

تتحدث المصادر المحلية عن حرب طويلة بين طلائع الهجرات القادمة من الشمال خلال القرن 14، والإمارات الصنهاجية التي كانت تتقاسم المجال في صراع دام لأزيد من عشرين سنة، وتؤكد أن موقف هذا الشيخ المناهض لأخواله كان بسبب رفضهم شفاعتَه في ردّ المنهوبات التي يحصلون عليها من إغارتاهم على قوافل مريديه من العرب وأصهاره من تجكانت[1]، وهي رواية منطقية لسبب الخلاف الذي مثل بداية نهاية إمارة ابْدُوكّلْ، بعد إزاحة الشرعية الدينية عنها، وتكتل خصومها في البيعة الكبرى للشيخ سيدي مُحمد الكنتي التي غيرت رتابة البنيات الثقافية والاجتماعية وأعادت تشكيلها من جديد.

وعن بداية ذلك التكتل يقول الشيخ سيدي محمد الخليفة: "فورد عليه غزو من أولاد النّاصر وقد بلغهم مغاضبته لأخواله، فقال بعضهم لبعض: إن فاتتكم هذه الفرصة في لمتونه فحرام عليكم الظفر بهم بعدها. فقد غاظوا هذا الغوث وأغضبوه. وما يُزيل قُلنسوة الغوث عن رأسه، يزيل مُلك السلطان من أُسّه"[2] فأجابهم لذلك؛ وفق شروط مهدت للانتقال السلس من السيطرة المطلقة لإمارة ابْدُوكّلْ إلى تقاسم المجال بين قوى جديدة صارعت للسيطرة مدة عقود وانتصرت أخيرا بعد هذا الحلف الذي أُبرم وفق معاهدة ملزمة لقادة حسان، لا يتعرضون بموجبها للعلماء، وطلبة العلم، ومن لاذَ بهم أو اعتزل الحرب، ويكفون عن مقاتلة خصومهم حين يبلغون منهم الحد الذي يأمنون شوكتهم.

---

[1]-حماه الله السالم، **تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا)**، م، س، ص 168.

[2]- سيدي محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، ، م، ن، ص202.

3.1 الشيخ سيدي محمد الكنتي وتأسيس الشرعية السياسية الجديدة

انطلاقا مما سبقت الإشارة إليه يمكن القول إن الشيخ سيدي مْحمد الكنتي الكبير لم يتحرك بدافع الانتقام أو البحث عن سلطة، وإنما لضبط إيقاع التصادم بين أُمتين إحداهما حكمت المجال لعدة قرون وأخرى قادمةٌ لتوها من الشمال، وهو بذلك "يؤسس لاقتسام السلطة بين الزوايا، والعرب المحاربين"[1].

احتفظ الزوايا بالسلطة الدينية والروحية بعد ذلك، واستطاع بنو حسان لاحقا تشكيل قوىً حربية وإقامةَ سلط سياسية اكتسحت المجال وتقاسمت السيطرة على عموم البلاد. فكان بمثابة "صانع حكام الصحراء الجدد كما يقول بعض الباحثين[2] أو هو صانع الملوك كما يقول إرنست اكلنير في كتابه السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية[3].

ولعل هذا يفسر لنا سبب اهتمام ابنه سيد أحمد البكاي بتقييد المعلومات المتعلقة بالقرابة والصلات والروابط، والتي نفترض أنها ربما كانت داخلة في اهتمامه بالأرحام الملاحظ فيما يوثر عنه.[4] وربما عضض بها الوصايا التي ترك

---

[1]-الظريف، محمد. "**الطريقة القادرية الكنتية البكائية مصدر لإنتاج الخطاب الصوفي في الصحراء**"، اطروحة لنيل الدكتوراه فى الآداب، غير منشورة، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، السنة الجامعية 2012- 2013. ص122.

[2]- محمد الظريف "الطريقة القادرية الكنتية البكائية، م، ن، ص 122.

[3]- إرنست اكلنير "السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية الأنثروبولوجيا والتاريخ: حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي، وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، ط2، 2007، ص:57.

[4]-**أحمد بن الحاج عبد الله الرقادي** ديوان الأنساب، (مجموعة من النصوص) دراسة وتحقيق أحمد ولد سيداتْ (الرفاعي)، بحث لنيل درجة الماستر في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، غير منشورة، جامعة نواكشوط، السنة الجامعية 2015-2014.

لأبنائه، حيث تؤكد هذه النصوص ما ورد في وصاياه لأبنائه من أن آباءهم كانوا "لا ينكحون إلا إلى صالح كل قوم وخير كل قبيلة"[1].

وإجمالا، يمثل الشيخ سيدي محمد الكنتي الكبير نموذجا واضحا للدور الذي أدته روابط النسب والمصاهرة في بناء المكانة الاجتماعية والسياسية داخل المجال الصحراوي. ويبدو أن ما اعتمده، ثم واصل الشيخ سيدي أحمد البكاي توظيفه، من توسيع شبكات القرابة وربط المجموعات القبلية بالمصاهرة والانتساب، أسهم في إرساء نموذج أصبح لاحقا من أبرز آليات بناء قبائل الزوايا وترسيخ زعاماتها، وانتقل أثره إلى عدد من الزعامات القبلية الأخرى.

لقد تعززت مكانة الشيخ سيدي مْحمد الكنتي الكبير بانتصار حلفائه من حسان الذين احتلوا موقعا متميزا في الخارطة الاجتماعية الجديدة. ومثلت هزيمة إبدوكَلْ نقطة تحول جذرية في تاريخ الصحراء الغربية، حيث رسخت قبائل بني حسان هيمنتها العسكرية والثقافية، وحوَّلت المنطقة إلى مجال عربي-حسَّاني، مع إعادة تشكيل الهوية الاجتماعية واللغوية لقرون لاحقة.

3.2 شجرات الأنساب المحلية وملامح البنيات الاجتماعية

لا شك أن شجرات الأنساب المدونة خلال مرحلة الفراغ الوثائقي، قد تكون من أهم العناصر المساعدة على اكتشاف ملامح وتنوع الوحدات البشرية ومكانة الأفراد والقبائل داخل البنيات الاجتماعية القائمة يوم ذاك، كما قد تساعد دراسة تغيراتها في رصد مسار تعرب تلك البنيات وتطورها.

ومن الملاحظ أن ما كتب من هذه النصوص في القرن الخامس عشر مقارنة بما دون بعد ذلك وصولا إلى القرن الثامن عشر، شهد تطورا ملحوظا في طريقة تدوين الأنساب، يعكس التغيرات الثقافية والسياسية التي عرفتها المنطقة طيلة تلك القرون.

---

[1]- وصايا الشيخ سيدي أحمد البكاي، ص4

ففي المرحلة الأولى تميزت النصوص بالبساطة والتركيز على سرد الأنساب دون إسهاب في التفاصيل المناقبية الأخرى أو محاولة إضفاء ميزات شخصية على الأفراد، إلا ما كان عرضا مثل صفة المتوكل على الله، والعالم أو الرئيس، أو الزعيم بمعناه الصنهاجي (أمغار).. ولكن خلال القرون اللاحقة، بدأت تُقدم معلومات أكثر تفصيلا، حيث دخلت القصص الشعبية والمناقب في السرد، وأصبح الشعر أداة للتفاخر بالنسب واعتزازا بالمكانة الاجتماعية، ولم يكن ذلك اختلافا في الشكل الكتابي فحسب، بل كان تعبيرا عن تحولات أعمق في البنية الفكرية والثقافية للمجتمع.

كما ظهر تطور ملحوظ أيضا في المصطلحات المستخدمة خلال هذه الفترة، حيث بدأ استخدام مصطلحات جديدة مثل "الأشراف"، و"الزوايا"، و"قريش"، و"حسان"، وهو ما يعني إعادة تشكيل خارطة المجتمع السياسية والاجتماعية،

فهذه المصطلحات لم تكن موجودة في نصوص القرن 15م، وإن وجد بعضها فبالمعنى وليس باللفظ، مثل: يأشم بمعنى هاشم، وإيدغزْينب بمعنى أبناء زينب.

4- التعرب وملامح التحول الهوياتي: المقاربة الإحصائية-اللسانية لشجرات الأنساب

لعل من أبرز مظاهر التحولات السكانية في هذا الصدد التراجع الكبير للأسماء الصنهاجية مقابل تزايد الأسماء العربية، وليست هذه إحصائيات للأسماء، بل هي مرآة لنتائج التفاعلات التي أدت إلى تشكيل بنية اجتماعية جديدة. ويمكن تحليل هذه النِّسب من أجل النظر إلى ما وراء الأرقام لفهم أبعاد التحولات الحاصلة، وتفاوتها عبر القرون.

حيث تكشف شجرات الأنساب عن تراجع واضح للأسماء الصنهاجية مقابل تزايد الأسماء العربية؛ في مدونة سيدي أحمد البكاي ارتفعت نسبة الأسماء العربية إلى 10% مقابل 5% للأسماء الصنهاجية، بما يعكس تحولا في البنية

القبلية ارتبط بتنامي النفوذ العربي، ولا سيما مع سيطرة القبائل الحسانية على شبكات التجارة الصحراوية. ولا تمثل هذه الأرقام مجرد تغير في الأسماء، بل تعكس ديناميات اجتماعية وسياسية أعادت تشكيل الهويات، إذ انتقلت الأسماء العربية من 6% في القرن الرابع عشر إلى 10% في القرن الخامس عشر، بما يشير إلى تسارع مسار التعرب.

وتبرز المقارنة أيضا تحولا في بنية النسب؛ فقد تقاربت نسب الأسماء المذكرة والمؤنثة في القرن الرابع عشر (11% و8%)، ثم ارتفعت نسبة الأسماء المذكرة إلى 15% مقابل 11% للمؤنثة في القرن الخامس عشر، بما يوحي بتعاظم حضور النسب الأبوي.

ولا شك أن تمايز النسب المئوية وتطورها في سلاسل الأنساب كان نتيجة حتمية لمسار طويل ومعقد من التفاعل المستمر والتداخل بين الإثنيات الأساسية، استمر لعدة قرون من خلال المجاورة والمصاهرة. وقد كان من نتائجه نشوء بنيات جديدة وظهور وحدات سياسية مزدوجة الانتماء في بعض الأحيان.

4.4- تمايز نِسب تعر الأسماء في البنية العامة للإمارة:

يتضح مما تقدم أن نِسب الأسماء العربية ضئيلة في أنساب الأسر الصنهاجية الصميمة، وما يهمنا في هذا الجانب دائما هو رصد التعرب من خلال مقارنة حضور وتراجع تلك الأسماء حسب النِّسب المئوية، وقد رأينا نتائج تلك المقارنات في إطار خاص هو قرابات محمد الكنتي وابنه أحمد البكاي وأسماء وأنساب جداتهم اللاتي هن من صميم صنهاجة كما تصرح الوثيقة، وتعكس المعطيات المتوفرة عنهن تمايز النسب بين الاسم الصنهاجي والعربي وتدرج تراجع الأول منهما لصالح الثاني خلال القرنين 14-15.

وسنحاول في هذه المرة استقراء ذلك التمايز في إطار اجتماعي أوسع يتمثل في المنتسبين لصنهاجة حسب نصوص القرن 15، والمكونات الأساسية لاتحادية ابدوكل الصنهاجية كما قدمتها النصوص، ويتضح من خلالها أن القبائل التي

أسست إمارة "ابدُوكَل" في أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري[1]، ضمت العديد من الفروع والمجموعات والأسر.

وبطبيعة الحال فإن حضور الاسم العربي في السلاسل النسبية الصنهاجية قد لا يعكس تماماً حجم حضوره في البنية السياسية والاجتماعية العامة.

ففي الوقت الذي تتراوح نسبة الأسماء الصنهاجية بين 90% إلى 94% في سلاسل أنساب صنهاجة المتقدمة، وتمثل أسماء القبائل نسبة 11%، كانت نسبة حضور الأسماء العربية تصل إلى 6%. خلال القرن 14 و10% خلال 15.

ورغم أن هذه النِّسب تعكس حضور الاسم العربي في صنهاجة الصميم، فإن التدقيق العميق في البنية العامة للاتحادية الابدوكلية يكشف لنا عن اختلافات واضحة، بين معطيات الخرائط النسبية وخرائط التحالفات السياسية التي تبرهن على تنوع التشكيلات الاجتماعية، والتداخل بين مختلف العناصر الثقافية والاجتماعية في تلك الفترة.

حيث تشير الإحصائيات التي سيتم استعراضها إلى تمايز النِّسب بين الأسماء العربية والصنهاجية في النص على النحو التالي:

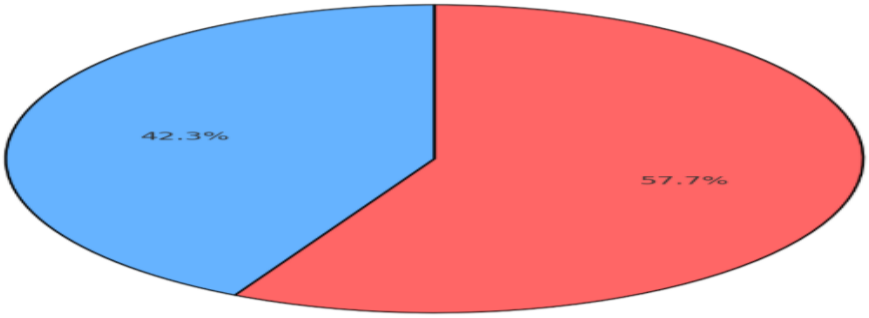
الأسماء الصنهاجية تشكل حوالي 57.7% من الأسماء الواردة، في حين أن الأسماء العربية تمثل حوالي 42.3% منها.

ولهذا التمايز عدة دلالات فهو لا يعكس تنوع الهوية الثقافية في المجتمع فحسب، بل يُظهر تداخل التأثيرات العربية والصنهاجية على الأفراد في تلك الفترة. كما يوحي هذا التباين بين الأسماء بحجم التحولات الاجتماعية واللغوية التي شهدها المجتمع، ويُظهر تطور الأنساب والهوية التي تتداخل فيها عناصر من الموروثين الثقافي العربي والصنهاجي.

---

[1]- سيدي محمد الخليفة الكنتي، **الرسالة الغلاوية**، م، س، ذ، ص155.

الأسماء الصنهاجية تشكل حوالي نسبة 57.7% من الأسماء الواردة في النص.	الأسماء العربية تشكل حوالي نسبة 42.3% من الأسماء الواردة في النص.



ولا شك أن توسيع مثل هذه المقارنات واستغلال ما ترسمه من بيانات قد يقدم الجديد عن مسار التعرب عموما، وتعرب أسماء أعلام الأماكن والأشخاص والمجموعات بوجه أخص، كما قد يساعد في رصد مراحل تراجع حضور اللسان الصنهاجي في تلك الأسماء، أو تؤرخ لمراحل تحورها. ويمكن تتبع ذلك أيضا من خلال سلاسل الأنساب التي كتبت بعد ذلك،

وإذا كانت هذه هي المعلومات المتاحة من خلال المعطيات المتوفرة عن القرنين 14 – 15 فإن نصوص ما بعد ذلك انقلبت فيها المعادلة بشكل كلي، وطغت الأسماء العربية على حساب الأسماء الصنهاجية باستثناءات قليلة خلدتها الوثائق في إطار جغرافي واجتماعي يمكن اعتباره آخر الجيوب التي احتفظت بموروث صنهاجي مميز من حيث استخدام اللهجة الصنهاجية ومعرفة معاني الكلمات المستخدمة سواء منها ما تعلق بأسماء أعلام الأماكن والمجموعات أو الأشخاص، ولعل أندر النصوص المتأخرة وأكثرها تشابها مع نصوص القرن 15م سواء من حيث المنهج، أو من حيث الغرض والأسلوب والاهتمام، ذلك النص الذي دونه أحد علماء القرن 18 في منطقة الكبله (الجنوب الغربي من موريتانيا الحالية) وهو محمد والد بن المصطفى بن خالنا الديماني.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى أن هذه المخطوطة تمثل وثيقة تأسيسية نادرة كشفت لأول مرة عن ملامح البنية العامة لإمارة ابدوكل الصنهاجية، كما أبرزت دور النسب والمصاهرة في بناء التحالفات وترسيخ السلطة، وآثار التحولات اللاحقة التي أدت إلى تفكك الإمارة وإعادة تشكيل الخريطة السياسية والثقافية الجديدة.

كما بينت المقاربة الإحصائية اللسانية أن تعرب الأسماء كان مؤشرا على تحولات اجتماعية عميقة، تجلت في ارتفاع نِسب الأسماء العربية على حساب الأسماء الصنهاجية، وتعاظم حضور النسب الأبوي وتراجع الأبوسي، وخلصت إلى أن تعرب المجال الموريتاني كان ثمرة مسار تاريخي طويل من التفاعل والتداخل بين المكونات البشرية، وليس نتيجة قطيعة تاريخية أو غزو ثقافي مباغت.

قائمة المراجع:

أولا: المخطوطات

1. أسماء وانساب امهات وجدات الشيخ سيدي احمد البكاي، النسخة (ا): نسخة اهل الشيخ ولد ان، مخطوط غير مرقم، بحوزة الباحث صورة منه.
2. أسماء وانساب امهات وجدات الشيخ سيدي احمد البكاي، النسخة (ب): نسخة احمد بو الاعراف، مركز احمد بابا التنبكتي، مخطوط، بحوزة الباحث صورة منه.
3. وصايا الشيخ سيدي احمد البكاي، مخطوط، بحوزة الباحث صورة منه.

ثانيا: المصادر

4. ابن الشيخ سيدي المختار، سيدي محمد، الرسالة الغلاوية، تحقيق: حماه الله بن السالم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2013.
5. البرتلي، الطالب محمد بن ابي بكر الصديق، فتح الشكور في معرفة اعيان علماء التكرور، تحقيق وتعليق: عبد الودود بن عبد الله، واحمد جمال بن الحسن، القاهرة: دار نجيبويه للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر، 2010.

ثالثا: المراجع

6. غلنر، ارنست، السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية: الانثروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، ترجمة: عبد الاحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط2، 2007.
7. مارتي، بول، كنته الشرقيون، تعريب: محمد محمود ودادي، دمشق: مطبعة زيد بن ثابت، 1985.
8. ولد السالم، حماه الله، تاريخ بلاد شنقيط، بيروت: دار الكتب العلمية، 2012.
9. ولد السالم، حماه الله، تاريخ بلاد شنقيط (موريتانيا): من العصور القديمة الى حرب شربيه الكبرى، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2010.

رابعا: الرسائل والاطروحات الجامعية

10. الرقادي، احمد بن الحاج عبد الله، نصوص في التاريخ والانساب، دراسة وتحقيق: احمد ولد سيدات (الرفاعي)، بحث ماستر غير منشور، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة نواكشوط، 2014-2015.
11. الظريف، محمد، الطريقة القادرية الكنتية البكائية: مصدر لانتاج الخطاب الصوفي في الصحراء، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2012-2013.